

HAWLIYYAT

al-Jāmi'at al-Islāmiyyat al-Ālamiyyah

22nd Issue

1435 AH/2014 AD



**Annual Journal of
International Islamic University
Islamabad, Pakistan**

حولية

الجامعة الإسلامية العالمية

إسلام آباد - باكستان
مجلة علمية محكمة

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

العدد الثاني والعشرون



Annual Journal of
International Islamic University Islamabad

حولية الجامعة الإسلامية العالمية

■ العدد الثاني والعشرون ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م ■

الإشراف العام
أ.د. أحمد يوسف الوريويش

هيئة التحرير
رئيس التحرير
محمد أحمد ناشي

المساعدون
بلال أحمد قريشي
نبيل فولي محمد

الهيئة الاستشارية

- أ.د. حسن محمود الشافعي • أ.د. رجاء عبد المنعم جبر
- أ.د. ظفر إسحاق أنصاري • أ.د. محمد الغزالي
- أ.د. محمود شرف الدين

الإخراج الفني: إبراهيم حسن أحمد

تصميم الغلاف: زاهدة أحمد

المراسلات:

Deputy Chief Editor

Annual Journal of International Islamic University

Islamabad – Pakistan P.O. Box 1243

Email: aji2010@iiu.edu.pk

Tel: +92-519019682 Fax: +92-51-9258053



- ٦-٥ الافتتاحية ⑧
- ⑧ التفسير الفقهي عند الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره لسورة البقرة
- ٣٦-٧ د. الضيف رايح نظور
- ⑧ خطبة الجمعة وتأثيرها في المجتمع .. دراسة تأصيلية
- ١٠٦-٣٧ د. رمضان محمد علي مبروك مطايرد
- ⑧ منهج الفقهاء في تفسير النصوص .. مقارنة بمنهج المتكلمين
- ١٧٠-١٠٧ د. فضل الرحمن عبد الغفور
- ⑧ إثبات نبوة محمد (ﷺ) في مؤلفات السيرة النبوية العربية خلال القرن الرابع عشر الهجري
- ٢٥٦-١٧١ د. نبيل فولي محمد
- ⑧ لغة الضاد بين الأصالة والتطور
- ٢٨٦-٢٥٧ أ. د. عبد التواب مرسي حسن الأكرت
- ⑧ القرآن الكريم بين الإنزال والتنزيل دراسة نحوية لاستعمال الفعل "نزل" في القرآن الكريم
- ٣١٠-٢٨٧ د. محمد عطية محمد علي
- ⑧ الدرس الصوتي عند سيبويه .. دراسة استقرائية تحليلية
- ٣٢٨-٣١١ د. أحمد راغب
- ⑧ مظاهر التأثير والتأثير في شعر المذائح النبوية
- ٣٤٤-٣٢٩ د. رحمة بنت أحمد الحاج عثمان، وعبد الحلیم سامي
- ⑧ عبقرية الأدب المهاجر بين الشُّشُري وكاليمَاخوس
- ٣٧٠-٣٤٥ د. عبد الله رمضان

القسم الإنجليزي

Muslim Christian Understandings to Interfaith Dialogue-An Introduction

15-3 Dr Riaz Ahmad Saeed





مظاهر التأثير والتأثير في شعر المدائح النبوية

ملخص:

تناولت الدراسة المدائح النبوية من جهة تأثيرها وتأثيرها على آداب الشعوب الأخرى، وذلك ببيان كيفية نشأتها، ومراحل تطورها على مر العصور الإسلامية، ابتداءً من بعثته عليه الصلاة والسلام حتى الدولة الفاطمية. كما سلطت الضوء على أهم العوامل التي أثرت في المدائح النبوية؛ الفكرية منها، والسياسية، والاجتماعية معتمدة على المنهج الاستقرائي لتاريخ المدائح النبوية، والمنهج التحليلي في فك رموز ونصوص المدائح النبوية.

وتكمن أهمية الدراسة في معرفة مدى قدرة الأدب الإسلامي - متمثلاً في المدائح النبوية - على إضفاء ألوان وأفكار جديدة على آداب الأمم الأخرى، والوقوف على مواطن التأثير المتبادل بين آداب الشعوب.

◉ د. رحمة بنت أحمد الحاج عثمان، وعبد الحليم سامي

قسم اللغة العربية وآدابها - كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

المدائح النبوية في عصره عليه الصلاة والسلام

تمتيز شعر المدائح النبوية في عصره عليه الصلاة والسلام بالترام المبادئ والقيم التقليدية التي كانت موجودة في عصر الجاهلية، وذلك يعود إلى قرب عهدهم بالإسلام، وأن قلوبهم وأفكارهم لم تتشبع في بداية إسلامهم بالمقيم الإسلامية العريقة ومبادئها الكريمة، نجد مصداق ذلك في قول أحدهم:

حباها رسول الله إذ نزلت به فانمكتها من نائل غير مفقده
فأضعت بروض الخضروهي حثيثة وقد أنجعت حاجاتها من محمد^(١)

فتجد في تلك الأبيات أن الشاعر مدح الرسول عليه الصلاة والسلام بالقيم والمكانة التي كانت محل فخر لديهم، فلم يمتدحه بكونه نبيا مرسلًا، بل أشى عليه بصفتة السيد أو الملك، وهذه القيم هي ما كانت العرب تقتض به في الجاهلية.

ولو قلنا النظر قليلا في شعر المدائح النبوية في أواسط عصره عليه الصلاة والسلام، لوجدنا المدائح النبوية وقد تأصلت في أوسعها القيم الإسلامية وترجمت عن ذلك قصائدهم، فهناك المصاحبي الجليل عبد الله بن راحة (رحمته الله) يمدح الرسول عليه الصلاة والسلام فيقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله
قد أنزل الرحمن في تنزيله في مصحف تتلى على رسوله
بأن خير القتل في سبيله يسارب إني مؤمن بقبيله
أعترف حق الله في قبوله^(٢)

فإذا تأملنا الأبيات السابقة وجدنا الأثر الكبير الذي أصله الإسلام في نفوس الشعراء، فالعاني والأفكار مستوحاة من القرآن الكريم في صورة اقتباس لم يعهده هذا الشعر من قبل، فما كانت العرب تعرف أن تقتل في سبيل الله فيه خير الدنيا والآخرة، وما سبق لها أن استعملت ألقابا ككلمة الكفار والمصنف بهذا المعنى الذي خلعه عليهما الإسلام. وقد قال (رحمته الله) - في نموذج آخر من شعر المديح - في بيان مناقب الرسول محمد عليه الصلاة والسلام:

تحمله الناقة الأدماء مستجرا بالبرد كاليدبر جلى ليله الظلم
وفي عماقيه أو أنشاء برده ما يعلم الله من دين ومن كرم
إني تقرست فبك الخير أنرفه والله يعلم أن ما جاني البصر

(١) المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، ص ١٠٦.
(٢) ديوان عبد الله بن راحة، ص ١٤٤.
■ العدد الثاني والعشرون ١٤٢٥ هـ / ٢٠١٤ م ■

مقدمه، المدائح النبوية ونشأتها

يعود ظهور المدائح النبوية إلى بداية بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد جرت عادة الشعراء في المديح أن يتوجهوا بمدحهم إلى الشخصيات البارزة في المجتمع، ومع بعثته عليه الصلاة والسلام انقسم الناس في رسالته قسمين: مؤيد، ومعارض، فذهب المعارضون إلى ذم رسالته عليه الصلاة والسلام، وتحذير الناس من دعوته، وبعثوها بأسوأ الأوصاف، وأما المؤيدون لرسالته فقد دافعوا عنها، وحملوا دعوته إلى الانحاء والأقصا، وبما أن المعادة قد جرت في الشعر أن يتوجهوا للشخصيات البارزة بمدحهم، فقد وجها في الرسول عليه الصلاة والسلام أروع نموذج للشخصية المثالية^(١)، فهبوا في مدحه وبيان مكانهم أخلاقه، ومن هنا كانت بداية ظهور شعر المدائح النبوية^(٢).

ومن أقدم ما مديح به الرسول (ﷺ) قصيدة الأعشى الذي قال في معلقته:

ألم تتعوض عيناك ليلة أرعدا وحادك ما عاد السليم المسهدا^(٣)

وقد أسهمت المدائح النبوية بشكل كبير في تدوين التاريخ وبيان الأحداث، ووصف المناسبات والمراعات والنزاعات السياسية التي شهدتها تاريخ الأمة الإسلامية على مر العصور، وليس بمستغرب أن نجد في كتب التاريخ كثيرا من الاستشهادات الشعرية التي نرجع بها المؤرخون في كتبهم ليعضدوا بها أخبارهم وتحليلاتهم^(٤).

والمدائح النبوية في مراحل تطورها؛ منذ نشأتها حتى يومنا الحاضر، مرت بمراحل عدة أثرت وتأثرت فيها بالأحوال الاجتماعية، والاضطرابات السياسية، والنزاعات العقدية، ومع هذا لم تقب خلال مراحل تطورها عن الساحة الأدبية، وأسهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في تكوين الاتجاهات الأدبية العربية منها والأجنبية.

إن دراسة المدائح النبوية في الأحوال الاجتماعية، وعلاقتها بالمراعات والنزاعات السياسية، والوقوف على أصولها الاعتقادية، ومعرفة تاريخ مرحلة البناء ومرحلة التطور الذي مرت به، تقودنا إلى معرفة مدى التأثير الذي طرأ على أدب المدائح النبوية. ومع أن هذه الدراسة قد سلطت الضوء أكثر على النصوص العربية، إلا أن هذا لا يخرجنا من دائرة الدراسة في الأدب القارئ^(٥).

(١) انظر: مدائح الرسول (ﷺ) ومراثيه في عصره، محمد بن علي الهروي، النادي الأدبي بمنطقة تبوك، ١٤١٧هـ، ص ٤٤.

(٢) المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، محمود سالم محمد، دار الفكر، ١٩٩٦هـ، ص ٧٤.

(٣) المدائح النبوية في الأدب العربي، ص ١٢.

(٤) انظر: شعر السيرة النبوية دراسة توثيقية، شوقي رياض أحمد، ١٩٨٧، ص ٨٢.

(٥) انظر: الآداب المتعارفة، محمد التونسي، دار الجيل بيروت، ١٩٩٥، ص ١٧.

شعر المدايح النبوية.

وفي موطن عدة من شعر المدايح النبوية نجد أن الشعراء يقاتلون ما حصل في عصرهم من أحداث ووقائع بأحداث وقعت للحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، يقصدون بذلك المفاخرة والتفخّل على الغير، يقول سراققة بن مرداس:

نصبرت على عدوك كل يوم بكل كتيبة تعي حسينا
كنصر محمد في يوم بدر ورسوم الشعب إذ لاقى حنيئا^(١)

ولا يعني هذا أن شعر المدايح النبوية في العصر الأموي رُصد كله لأهداف سياسية، حيث إننا نجد في مدح الكعبة بن زيد للرسول عليه الصلاة والسلام أربع صور الإعجاب بشخصية النبي الكريم، قال الكعبة يمدح الرسول عليه الصلاة والسلام:

إليك يا خير من تضمنت الأرض وإن عساب قبولي الحبيب
لج بتفضيلك للسان ولو أكثر فبلك الضحج واللعجب

ولم يتوقف الشاعر في مدح النبي عليه الصلاة والسلام على بيان صفاته فقط، بل إنه تعرّق إلى شيء من السيرة، وناقش النصارى في نظرتهم إلى نبيهم، وتحدث عن يوم القيامة، وشفاة رسول الله (ﷺ) فيه، وهذه الآثار في شعر الكعبة تمثل انتقالاً لشعر المدايح النبوية في العصر الأموي، حيث أصبح شعر المدايح النبوية فيما بعد لا يكاد يخلو من هذه العناصر.^(٢)

لقد شهد عصر الخلافة الراشدة وعصر الدولة الأموية مراعات سياسية قوية، كان لها أثر كبير في تغيير المد والجزاجات في شعر المدايح النبوية، ظهر ذلك التأثير في اتجاه شعراء المدايح النبوية إلى التناحر بالأنساب التي توصفهم إلى النبي (ﷺ) سواء كانت هذه الصلات مباشرة أو غير مباشرة، وذلك في سبيل التفاضل بينهم، أو خدمة لحزب ينتمي إليه الشاعر، وقد كان شعر الكعبة في مدح النبي (ﷺ) - كما سبق - صورة للانتقال والتطور الذي شهده شعر المدايح النبوية.

المدايح النبوية في العصر العباسي؛

لم تذهب المدايح النبوية في العصر العباسي بعيداً عما كانت عليه في العصر الأموي، فما زال الصراع على الخلافة بين الأحزاب التي تربطها الأنساب بالرسول عليه الصلاة والسلام قائمة، وما زال الشعراء يفتخرون بأنسابهم وأنساب أحزابهم ويتفاضلون ويتفاخرون في ذلك.

(١) تاريخ الأُمى والمُلِك، محمد بن جبر الطبري، مكتبة الاستقامة، القاهرة، ١٩٢٩م، ج١-ص٥٤.

(٢) انظر: المدايح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، ص٧٠.

أنت النبي ومن يحرم شفاعته يوم الحساب فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما أتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا^(١)

وهذه انتقالات رائعة، ولافتات بدعية حسنة، كسبت بأجل الماني الإسلامية، فقد مدح الشاعر الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام بأنه النبي المرجو شفاعته، ومن حرم منها يوم القيامة فقد خاب، ولولا أن الإسلام قد أثر في نفوسهم لما كانت مثل هذه المعاني أن تظهر في أجمل حالتها.^(٢)

إن التأمل في الموروث الشعري لمدايح الشعراء للنبي عليه الصلاة والسلام يثبت أنهم قد تأثروا بشخصية النبي الكريم محمد (ﷺ)، فبُعث في مدائحهم شخصية الإنسان العظيم، والنبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهذا التأثير المباشر يظهر في التميم والمعاني والأفكار الإسلامية التي تنتمسها في قصائد المدايح النبوية لشعراء عهده عليه الصلاة والسلام.

المدايح النبوية في عصر الخلافة الراشدة والدولة الأموية؛

لقد شهدت الأمة الإسلامية بعد وفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام نزاعاً بين الصحابة تحت سقاية بني ساعدة فيمين هو أحق بالخلافة، كما أن مثلًا الصحابي الجليل عثمان بن عفان (رضي الله عنه) جعل المعتز السياسي للأمة الإسلامية حرجاً ومضطرباً، ولا يقضى على شاهد التاريخ حجم المعارك والخلافات التي قامت في نهاية الخلافة الراشدة لملي (رضي الله عنه)، وبداية الدولة الأموية على يد الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه).

وهذه الأحداث والأقطار السياسية تركت لا ريب تأثيرها على لغة المدايح النبوية وأفكارها، ففتاى الشعراء بالجزجات والأحداث التي تدور من حولهم، وظهر ذلك في شعرهم ولغتهم، وكانت الدواحي السياسية للأمة آنذاك تستدعي المفاخرة بالأنساب، وبينان فضل الأحزاب بعضها على بعض في سبيل بيان أحقيتهم بالخلافة، إلا أن هذه المفاخرات التي تشبه النغز بالأنساب عند الجاهليين قد تغيرت، فأصبح التفاضل يوزن بمدى صلة القبيلة بنسب النبي محمد (ﷺ)، يقول عثمان بن عتبة بن أبي سفيان مفخراً:

أبونا أبو سفيان أكرم به أياً وجدي الزبير ما أعف وأكرم
حوازي رسول الله يضرب دونه رؤوس الأعداء حاسراً وملاً^(٣)

وهكذا كان شعراء بني أمية يتفاخرون بأنسابهم إلى النبي عليه الصلاة والسلام مهما ابتعد النسب^(٤)، وهي لغة إلى أثر الحروب والمعارك، والمتركات السياسية على لغة

(١) ديوان عبدالله بن رواحة، ص١٤٤.

(٢) معجم الشعراء، محمد بن عمران المرزباني، تحقيق: عبد الستار فراج، مكتبة التورني، ص٩٠.

(٣) المدايح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، محمود سالم محمد، دار الفكر، ١٩٩٦م، ص٧٠.

(٤) العدد الثاني والخمسون ١٤٢٥هـ / ٢٠١٤م

المدائح النبوية في العصر الفاطمي والأيوبي،

لقد اُسم عصر الخلافة الفاطمية بالصراعات والنزاعات الشديدة على السلطة والسيادة بينها وبين الدولة العباسية من جهة، وبينها وبين الصليبيين من جهة أخرى، فصرعاتها التي وقعت مع الدولة العباسية كانت في أحقية قيادة الأمة الإسلامية، وذلك لأن نسبهم - كما أشاعوا - يعود إلى صلب النبي عليه الصلاة والسلام، لا لقرابة بعيدة أو مصاهرة، أما صراعمهم مع الصليبيين فكان من أجل الحفاظ على الممتلكات الإسلامية التي في أيديهم. أضف إلى ذلك عنصر المعتقدات والمذاهب التي تبتناها الدولة الفاطمية والتي تختلف في صلبها منفتح الدولة العباسية السياسي والاعتقادي.

وقد لعب الشعراء دوراً مهماً في صراعات ذلك العصر، ففي حين وقف المحاربون يدفعون العمد بسيفهم ورماحهم في أرض المعركة، وقف الشعراء في ميدان القول يمدحون هذا أو ذاك ويدعون خصومهما، حيث استمدى الموقف الدفاع بالستان واللسان، وهذه الظواهر الاجتماعية والسياسية تركت أثراً كبيراً في المدايح النبوية، فقد نقل عن مخلوط بنون (مجموعة أشعار إسماعيلية) للخليفة الفاطمي (المعز بالله) أنه قال:

أنا ابن رسول الله غير مدافع
تثقلت في الأنوار من قبل آدم
لبي الشرف العالي الذي خضعت له
رقاب بني حواء من كل عالم

وهذا النوع من المديح للذات يتضح فيه غاية الطوفان والاعتقاد، فكيف له أن يخاطر بنفسه حتى يعد نفسه في جميع النبيين والمرسلين، بل إنه أدعى لنفسه من الشرف مالا يحق له، فاختص نفسه رقاب بني حواء، فإذا كان الخليفة يقول عن نفسه ذلك، فما بال باقي الشعراء الذين يتوجهون إليه بمدحهم؟^(١)

ومن مظاهر تأثير العقائد على شعر المدايح النبوية في تلك الفترة، تلك الصور التي تجلت عند الشعراء الفاطميين أنهم جعلوا الهداية والشفاعة لآل البيت من الفاطميين والطالبيين والهاشميين، يقول علاء الدين بن زريك:

لا تيك للجيرة السارين في الطعن
ولا تعرج على الأطلال والدمع
من خلقه ذي الأيدي البيض والمين
وتسب إلى الله واستشف بغيره
محمد خاتم الرسل الذي سبقت
به بشارة قس وابن ذي يزن
وانذر النشطاء الصادقون بما يكون
من أموره والظهور لم يكن
والظاهر الأصل من دان ومن درن
الكامل الوصف في حلم وفي كرم

(١) انظر: المدايح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، ص ١٠٧.

ولقد شهدت المدايح النبوية صوراً كثيرة لذلك، منها قول ابن السميوط يوضح أحقية العباسيين بالخلافة:

لحكمكم تنفس المظالمه
وبعد لكم تنفس المظالمه
يرجو الترات بنو البينات
ومسا لهم فيها قلامه
والصم صم ليس بوارث
والبنيت لا تدرث الإمامة^(٢)
ولا يعني ذلك أن العصر العباسي قد اقتصر على التطور في شعر المدايح النبوية، بل إن كثيراً من الشعراء في هذا العصر قد أبدعوا وأظهروا جودة وأصحة في شعرهم، يقول أبو تمام في مدح النبي عليه الصلاة والسلام:

هذا النبي وكان صفوة ربه
من بين باد في الأنعام وقار
فقد خص من أهل التناق عصامية
وهم أشد أدنى من الكفار
حتى استضاء بشعلة السور التي
رفعت له سجداً من الأسرار^(٣)

وهذه الأحزاب السياسية الكثيرة والصراعات القوية التي جرت في العصر العباسي قد تركت آثارها على شعر المدايح النبوية، وجاء أعظم مظاهر التطور التي ظهرت في المدايح النبوية في العصر العباسي نتيجة ظهور حركة التصوف وتسميها، حيث إن بعض المتصوفة المتطرفين أضافوا إلى مذهبهم فلسفات أخلاقية متباينة وأفكاراً من البيانات الأخرى، وقد أقيمت حركة التصوف المذبح النبوي، وذهبت بشعراء المدايح النبوية إلى عالم الغيبات البعيدة.^(٤)

إن العصر العباسي دام لفترة زمنية طويلة، والمتأمل في مزايا الأدب العباسي يجد أن الشعر في صدر هذا العصر يختلف عنه في آخره، حيث إن القسم الثاني من العصر العباسي قد اختلط وامتزج العرب بالمعجم بشكل كبير، بل إن المعجم في العهود المتأخرة من العصر العباسي قد سيطر على الأوضاع السياسية في بعض أنحاء الدولة الكبيرة، وهذا الاختلاط الذي شهدته تلك المصير إنما يدل دلالة تامة على مدى التأثير الذي طرأ على شعر المدايح النبوية، وفي ذلك أوسع الجادين لدراسة التأثير والتأثر بين الآداب والمذاهب الأدبية والأدباء أنفسهم.^(٥)

(١) انظر: تاريخ الألف والمؤلف، محمد بن جرير الطبري، مكتبة الاستقامة، القاهرة، ١٤٢٩م، ج ١- ص ٣٣١.

(٢) ديوان أبي تمام: ص ١٥٢.

(٣) انظر: المدايح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، ص ٩٦.

(٤) انظر: الأدب الفارسي، محمدي ومية، مكتبة لبنان، ١٩٩١، ص ٨.

فالمحتفل يتخلله الأناشيد والأناشيد في مدح الرسول، وقراءة لسيرته العطرة، والصلوة عليه، وإقامة الموائد، وإظهار الزينة، وذلك تعظيماً لذكراه عليه الصلاة والسلام، والأمة الإسلامية منذ بعثته عليه الصلاة والسلام لم تكن تحتفل بهذه المناسبات، إلا أن أصحاب الديانات الأخرى كالنصرانية يحتفلون بميلاد أنبيائهم ورجال شملائهم، وقد يكون لهذا تأثيره على المسلمين في قرون التراجع الحضاري والثقافي.

وقد اختلف الباحثون في حكم الاحتفال بالمولد النبوي، وذهبوا فيه مذاهب كثيرة، ونحن هنا لن نلقي الضوء على هذه الخلافات لنسقي الجال^(١)، كما أنهم قد اختلفوا في زمن ظهور الاحتفال بالمولد، إلا أن الجذور تعود بالاحتفال بالمولد النبوي إلى عهد الفاطميين، وذلك بعد أن استقر لهم أمر الحكم في مصر، ففكروا في وسيلة لاستمالة قلوب العامة إلى تأييد الحكم، وامتلاك النفوس واستئثار المواقف حتى تألف الأمة المصرية تصورات الخلافة الفاطمية، وكانهم أن ادوا أن تكون لحكمهم السياسي وجاهة بين الناس^(٢)، وبذلك أقاموا الاحتفالات بعدد من المناسبات العامة ليعتدل الناس بها.

وإذا كانت الدولة الفاطمية هي التي أنشأت مثل هذه الاحتفالات، فإن أغلب الظن أنهم قد اطلما على الأديان الأخرى، فاخذوا منها بعضاً من أفكارها^(٣)، كما أنهم أضاقوا إلى الاحتفال بالمولد النبوي بعضاً من المناسبات القديمة التي كانت العرب تحتفل بها قبل الإسلام^(٤).

وقيل: إن أول من أحدث الاحتفال بمولد النبي (ﷺ) صاحب إربل، الملك المظفر أبو سعيد ابن زلف الدين علي بن بككين^(٥).

إن تأثير الدولة الفاطمية ببعض معتقدات الأديان الأخرى وتقليد ما فيها في عمل المناسبات العامة كالاحتفال بمولده (ﷺ)، إنما هو اتصال اللد بالند، وهذا التأثير ما كان إلا تأثير الغالب بالغلوب، وهي من العناصر المهمة في دراسة الأدب المقارن^(٦).

(١) انظر: الاحتفال بمواليد الأدياء، وأولياء مشيخ، السيد عز الدين عاصمي أبو المراثم، دار الكتاب الصوفي، ١٩٩١.

(٢) انظر: تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر النوروة الأول، حسن السندوني، مطبعة الاستقامة، ١٩٤٨، ص ٦٢.

(٣) انظر: المذائع النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، ص ١٨٦.

(٤) انظر: تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر النوروة الأول، حسن السندوني، مطبعة الاستقامة، ١٩٤٨، ص ٦١.

(٥) انظر: حسن التقي، الملية، بيروت، ١٩٨٥، ص ٤٢.

(٦) انظر: الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، ص ٨٠.

طل الإله ومفتاح النجاة وتنبؤ
الحياة وغيت العارض النهن
له وبالمترض الهادي أبي الحسن
فاجعله ذكرك في الدارين متممًا
فلم يكتف الشاعر في الأبيات السابقة بمدح النبي عليه الصلاة والسلام فقط، بل إنه تجاوز الحد في ذلك فجعل من علي بن أبي طالب (عليه السلام) مشاركاً للنبي عليه الصلاة والسلام في الشفاعة التي خص بها الله سبحانه نبيه من سائر الخلق أجمعين.

ومن نماذج الاتجاه الصوفي في شعر المذائع النبوية ما قاله ابن عربي المائي في مدح الرسول (ﷺ):

يا أمل يثرب لا مقام لعرف
ورث النبي الهاشمي محمد
عم التمامات الجسم عروجه
وبذاك أمضى في القيامة سيدا
صلى عليه الله من رحمته
ومن أجله الروح المظهر أسجدا
لأنه آدم والحقائق نور
عن قولنا وعن اشتقاق قد هدى
في آدم هي للمقرب أعمدا^(١)

إن الأبيات السابقة تظهر فيها التوجهات الصوفية لصاحبها، فالمعروف أن النزعة الصوفية تسم في أحيان غير قليلة بالإشادة بمكانة أخلاقه عليه الصلاة والسلام حتى يذكر النبي عليه الصلاة والسلام والإشادة بمكانة أخلاقه عليه الصلاة والسلام حتى ساد الأظم، ثم لبث أن دخل في عالم النبيات الذي لا يستطيع فهمه إلا من له باع في العلم الصوفي^(٢).

وقد انتشرت المذائع النبوية في العصر الفاطمي والأيوبي بشكل أوسع مع ظهور الاحتفال بمولد النبي عليه الصلاة والسلام، فقد أُلزمت الحاجة في هذه الاحتفالات وجود الأشعار والأراجيز التي يشدونها في هذه المناسبات لإظهار الفرح والآنس، مما حفز من فريحة الشعراء فاستقاموا في شعر المذائع النبوية بصورة كبيرة، حتى عد عصر الخلافة الفاطمية والسلطنة الأيوبية هي عمود الاكتمال لصور المذائع النبوية، ويقال إن أول من احتفل بالمولد النبوي هو مظفر الدين كوكبوري صاحب إربل ومبشر صلاح الدين الأيوبي^(٣).

أما الاحتفال بمولد النبي عليه الصلاة والسلام على شعر المذائع النبوية،

إن الاحتفال بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام له أثر كبير على شعر المذائع النبوية،

(١) الديوان الأكبر، مجي الدين ابن عربي، بومباي الهند، ص ٧٩.

(٢) انظر: المذائع النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، ص ١٠٧.

(٣) انظر: المذائع النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، ص ١١٤.

والذي يعطينا من سرد هذا التاريخ لظهور الاحتفال بالمولد النبوي، هو معرفة مدى تأثير ذلك في شعر الملاح النبوية، فقد ذكرنا سابقاً أن من أكبر الأسباب في انتشار الملاح النبوية في عصري الفاطميين والأيوبيين هو الاحتفال بالمولد النبوي عليه الصلاة والسلام، ولما كانت الغاية من تأليف القطوعات الشعرية توعيتها ولتفتي بها في المولد، ولكي يسهل على العامة حفظها^(١)، ظهر شعر الملاح النبوية في أحيان بشكل ضعيف في معانيه وأنماطه، ومن شواهد ذلك قول الشاعر:

صلوا عليه وسلموا تسليماً حتى تنالوا جنة ونعيمًا
لي نبي اسمه محمد يا مولاي لم يـُـزَلْ فضله علينا
هو نبي هو شقيقي يا مولاي غداً من انفسار التوبيا
أنطق النخل بفضله يا مولاي وله وجـ_____ه مضيا
أنته أقتى كسيف يا مولاي والحواجب أنوريا^(٢)

وهذا الكلام المنظوم الركيك لا يليق بأن يمدح به سيد الأنام محمد (ﷺ)، فلم تظهر فيه أية سمة من سمات الشعر الرقي ولا قوته ولا مزاياه.

كما ظهرت في ظل الاحتفال بالمولد النبوي أشعار سميت بالولدية، وهي قصائد نظمت خصيصاً لهذه المناسبة، ولكونها تعرضت بشكل مباشر للمولد، من ذلك قول سليمان السعودي:

إنماء النور وانتشع الظلام بولسند من له الشرف التمام
ربيع في الشهور له فخر عظيم لا يحسد ولا يرام
به كانت ولادة مسن تسامت به الدنيا وطاب بها المقام^(٣)

فالظاهر من هذه الأبيات أن الشاعر قد تناول المولد النبوي بشكل مباشر، فنادى إلى أن يوم مولده عليه الصلاة والسلام قد أراح الظلمة عن نفوس البشرية، وأن يوم مولده هو خير أيام الدنيا، فقد تسامت الدنيا حينها وطاب للناس العيش.

وقد انتشر الاحتفال بمولد النبي عليه الصلاة والسلام حتى وصل إلى أقاصي البلاد الإسلامية، ولم يزل قائماً إلى يومنا الحاضر في شتى أنحاء العالم الإسلامي، ونتيجة لذلك ظهرت القطوعات والأشعار والترانيم والولادات غير العربية في مدحه عليه الصلاة

(١) انظر: التائيد المنفا في مديح الصفثي ومولد العلمي، جمع وإعداد محمد توفيق الحلبي، محمد عبد

دقاق، مكتبة الزاوي، ١٩٩٢، ص ١٥.

(٢) انظر: الملاح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، ص ١٩٦.

(٣) انظر: الملاح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، ص ٢٠٠.

وتتضح مظاهر التأثير في احتفال المسلمين بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام باختلافات الديانات الأخرى عند استقراء مظاهر الاختلافات في الأمم السابقة، فقد كان الحفل يتلوه الفتاة والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء؛ يتوافدون إليه من شهر محرم حتى أوائل شهر ربيع الأول، وكانوا يعملون له القباب ويرثيها ويقعد في كل قبلة مجموعة من المئين، ومجموعة من الخيل والملاهي يتفرج عليها الناس، فيخرجون الإبل والبقر قبل المولد بيومين، ويرفونها بالحبول والأغاني والملاهي، حتى يعملوا بتلك الأنعام إلى الميدان فينحروها ويلبغوها، وفي ليلة المولد تُعقد السَّمَاعَات، فينزل والي المدينة ويديه الشموع المشتعلة^(١).

ومده المشاهد من الاختلافات لم تكن الأمة الإسلامية على عهد بها، ناهيك عن العرب، فنزول الرائي بالشموع وهي مشتعلة رمز من رموز اليهود في احتفالاتهم، ووضع القباب وإقامة المآدب هي ما كانت عليه انصارى في الاحتفال بمولد عيسى عليه السلام حتى يومنا الحاضر، وهذا من أوضاع معالم التأثير بأفكار الديانات الأخرى في إقامة الاحتفال بمولد النبي عليه الصلاة والسلام.

إضافة إلى ذلك لم تكن الحروب الصليبية سبباً لانتعش الأدب العربي فحسب، ونشاط الشعر الجهادي خاصة، بل إنها كانت كذلك من الأسباب المباشرة في أعمال الغرب بالشرق حضارياً، في مرحلة كانت أوربا فيها تعيش في ظلام دامس، في حين كانت حضارة المسلمين مشرقة على العالم، ومع ذلك فقد تسربت بعض جوانب التأثير من الطرف الصليبي الأضعف حضارياً إلى الجانب الإسلامي الأقوى في هذه الناحية.

ولا غربة في ذلك، فعصر الدولة الفاطمية كان ملياً بالحروب وفرض الاحتكاك المتنوع مع الصليبيين، والدماء مدمية في بعض الحروب، بل قد تصالح الفاطميون مع الصليبيين في سبيل الإطاحة بالدولة العباسية، وهذا الاختلاف المباشر أو غير المباشر ترك أثراً في نفوس الدولة الفاطمية فتأخروا من الصليبيين بعضاً من مناهجهم في الاحتفالات. وقد ظهر في الاحتفال بالمولد النبوي في بعض المصور بعض التلو واللغو المحرم من اختلاط الرجال بالنساء في المسجد الحرام، ويسمون ذلك اليوم بيوم الرقة، وذلك أن النساء يتزين بأحسن زينة، ويلبسن أحلى الحلي، ويتزينن بأروع الطيب، فيزينن مختلطات بالرجال اختلاطاً فاحشاً^(٢).

(١) انظر: وفات الأعيان، أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨، ص ١١٧.

(٢) انظر: إتمام النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد آدم، شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، تحقيق: عبدالمعز سيد هاشم النوروني، دار المكتب العلمية، ٢٠٠١، ص ٣٦.

الخلاصة

تبينت من خلال دراسة نشأة المذاهب النبوية أن العرب قد جرت العادة فيهم فيما قبل البعثة أنهم يتصدون ببدعيهم وتوحيهم به إلى الملوك والرؤساء وكبار الشخصيات النقية، وذلك لئلا من خيراتهم واكتساب مودتهم، فلما بعث النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام لم يتوان المؤمنون من الشعراء في مدحه، وذلك لما أسوه منه عليه الصلاة والسلام من مكارم الأخلاق التي تسمو النفوس بالتصلي بها، إضافة إلى دور الرسول عليه الصلاة والسلام في تغيير حياتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فكان مدحهم نابها من حقيقة مشاعرهم، لذلك ظهرت المذاهب النبوية في عهده عليه الصلاة والسلام قوية

الانفاضة رائعة المعاني.

أما المذاهب النبوية في عصر الخلافة الراشدة، فقد اتسمت بقلة الإنتاج؛ وذلك نظراً لتأخرات السياسة الكبيرة التي شهدتها عصر الخلافة الراشدة من حروب الردة والفتوح والفتنة، إضافة إلى طبيعة شخصية صدر الإسلام - خاصة الصحابة الكرام - المشغولة بالعمل عن القول؛ وذلك بعكس ما كانت عليه المذاهب النبوية في العصر العباسي، فقد كانت المذاهب النبوية في العصر العباسي تقال لأغراض سياسية، وذلك لبيان أن العباسيين لهم الحق في الخلافة دون باقي الأمم.

أما المذاهب القاطمية، فقد وصلت المذاهب النبوية فيها إلى مرحلة التضييق؛ وذلك لظهور الاحتفال بالمولد النبوي عليه الصلاة والسلام، وقد اتسمت المذاهب النبوية في عصر خلافة القاطميين بتأثرهم بمعتقدات الديانات الأخرى، ونجد ذلك واضحاً جلياً في الاحتفال بالمولد النبوي.

ما زال الاحتفال بالمولد النبوي - وفي صحبته المذاهب النبوية - مستمراً حتى يومنا الحاضر، فأصبحت الشعوب الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها يقيمون الاحتفال ويشدون فيه أرواح المذاهب النبوية، ومع اتساع الحدود الجغرافية للعالم الإسلامي، ودخول غير العرب في الإسلام ظهرت التراجع من العربية إلى اللغات الأخرى للمذاهب النبوية، وذلك حتى يسهل على عامة الناس حفظها وتحقيق المعنى المراد من إقامة المولد النبوي.

بل إن المذاهب النبوية قد تحطمت اللثة العربية حتى صدرت دوافع شعرية بلغات أخرى في مدح المصطفى عليه الصلاة والسلام، من ذلك ديوان كثر الملا باللغة الملايوية في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، للشاعر الشيخ السيد محمد زين العابدين العيدروس،

والسلام حتى تتناسب مع شعوبها، ويسهل عليهم فهمها، فمن شواهد ذلك (رسالة المسودة في مدح رسول الله ﷺ) للشيخ داود بن شيخ وان عبد الله النعماني، ترجم الشيخ داود في رسالته بعض القطوعات والمنظومات في الاحتفال بمولد النبي عليه الصلاة والسلام من اللغة العربية إلى اللغة الملايوية، ولعل غاية الشيخ في ذلك أن يسهل على العامة من المسلمين النعمانيين فهم وإقامة الاحتفال بمولد النبي عليه الصلاة والسلام، وقد انتقى الشيخ في رسالته القطوعات القصيرة، وحاول رحمه الله أن تكون شاملة لجميع الجوانب التي ينبغي بها في إقامة المولد؛ مثل: سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، ومدحه، ومجراته، إلى آخره^(١).

وقد تخطى بعض الشعوب حدود الترجمة، فأصبحوا يبدون عن جبهه للنبي عليه الصلاة والسلام ويبدون به بلغاتهم بعد أن تأصلت المفاهيم الشرعية في قلوبهم، فتجد في الأدب الملايوي على سبيل المثال ديوان «كنز الملا في بيان صفات المصطفى» للشيخ السيد محمد زين العابدين العيدروس، ويعد هذا الديوان من أوائل الدواوين الشعرية باللغة الملايوية في مدح المصطفى عليه الصلاة والسلام، وكان الدافع وراء تأليف الديوان نزعة الشاعر الصوفية وتأثره بمذاهب النبي عليه الصلاة والسلام للصوفية من البرودة والهجزية^(٢)، إن مساحة العالم الإسلامي الجغرافية واسعة، ومن الطبيعي أن تختلف العادات الاجتماعية، والثقافات، والأداب، واللغات، فمع اتساع الفتوحات في عهد الخلافة الراشدة، وانتشار الدعوة الإسلامية، وصل الإسلام إلى أقاصي العالم مشرقاً ومغرباً، فتمكن الإسلام من نفوس بشرية كثيرة، وتأصلت مفاهيم الشريعة في قلوبهم، فأصبح المجمع والعرب على كفة واحدة في حب الرسول (ﷺ) والدفاع عن الدين، فبدأت الأمم ترجم المثلثات العربية، ومن ضمن الأعمال التي ترجموها المذاهب النبوية، فلم يكن اختلاف اللغات عائقاً عن اتصال المسلمين بعضهم ببعض مع اختلاف ألسنتهم، فالإسلام ربط بين الشعوب برباط وثيق، وقام بينها من صلات اللغة والحضارة ما يندر أن يقوم مثله بين اللغات والشعوب الأخرى، فأقام الإسلام بين اللغات جسوراً عبرت خلالها كل أمة إلى الأمة الأخرى فأثرت فيها وتأثرت بها^(٣).

٢٠٠٣.

(١) انظر: رسالة المسودة: داود بن شيخ وان عبد الله النعماني، خزائن الخزانة، ص ٢٠٠٣.

(٢) انظر: دراسات في الأدب الإسلامي القارئ ذوي تأصيلية ومقاربات نقدية، جمع وتحرير علاء حسني المزين، ITUM Press International Islamic University، ٢٠١١، موفوخ، المذاهب النبوية في الأدب الملايوي، ديوان كثر الملا نموذجاً، روسني بن سامه، ص ٣٠١.

(٣) انظر: الأدب العائلي، ص ٣٥.

١٨- شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، (٢٠٠١)، إتمام النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد آدم، تحقيق: عبدالعزيز سيد هاشم الغزولي، دار الكتب العلمية.

١٩- أناتول الصفا في مدح المصطفى ومولد العظمى، جمع وإعداد محمد توفيق الحلبي، محمد عبد دقاق، مكتبة الغزالي، ١٩٩٢.

٢٠- داود بن شيبان عبد الله الغطاني، (٢٠٠٣) رسالة المسودة، خزنة الفتاوى، مركز الألبور.

٢١- دراسات في الإسلام، المقارن وفق تأصيلية ومقاربات نقدية، جمع وتحرير علاء حسني المزين، IUM دراسات في الإسلام، المقارن وفق تأصيلية ومقاربات نقدية، جمع وتحرير علاء حسني المزين، IUM Press International Islamic University، 2011، موضوع: المباح النبوية في الأدب الماليزي، ديوان

كزن الملا نموذجاً، روسني بن سامة.

٢٢- الأدب المقارن، طه ندا.

وقد اتسم ديوانه بطابع صوفي مما يدل على أن المفكرة الصوفية قد تركت تأثيرها في الشاعر.

إن المباح النبوية بمثابة أدبية كبيرة تحتاج إلى باحثي الأدب المقارن أن يعين النظر فيها، ويغف رموزها، وذلك أن الأمة الإسلامية باختلاف لغاتها، وثقافتها، تقيم بشخصية النبي عليه الصلاة والسلام، فالتقوا فيه الأشعار، وكتبوا النثر في مدحه عليه الصلاة والسلام، فلا تكاد تجد أمة من الأمم الإسلامية إلا وفيها انتها الأدبية بعض تلك المباح.

المصادر والمراجع

١- محمد بن علي الهوفي، (١٤١٧هـ). مباح الرسول (ﷺ) ومراثيه في عصره، النادي الأدبي بمنطقة تبوك.

٢- محمود سالم محمد، (١٩٩٦م). المباح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، دار الفكر.

٣- زكي مبارك، (١٩٩٢م). المباح النبوية في الأدب العربي، بيروت: دار الجيل.

٤- شوقي رياض أحمد، (١٩٨٧م). عصر السيرة النبوية دراسة توثيقية.

٥- محمد التونجي، (١٩٩٥م). الأدب المقارنة، بيروت: دار الجيل.

٦- ديوان عبد الله بن رواحة.

٧- محمد بن عمران المرزباني، معجم الشعراء، تحقيق: عبد الستار فرج، مكتبة النوري.

٨- محمد بن جرير الطبري (١٩٣٩م)، تاريخ الأئم والأئمة، مكتبة الاستقامة، القاهرة.

٩- ديوان أبي تمام.

١٠- مجدي وهبة (١٩٩١م). الأدب المقارن، مكتبة لبنان.

١١- محيي الدين ابن عربي، الديوان الأكبر، بوميلي الهند.

١٢- السيد عز الدينفاضي أبو العزائم، (١٩٩١م). الاحتفال بموايد الأئمة والأولياء مشتمل لا مبيدع، دار الكتاب الصوفي.

١٣- حسن السندوي، (١٩٤٨م) تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر الحاروق الأوف، مطبعة الاستقامة.

١٤- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (١٩٨٥م). حسن المقصد في عمل الولد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥- الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة.

١٦- أحمد بن محمد ابن خلكان، (١٩٧٨). وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

١٧- محمد التونجي، (١٩٩٥م). الأدب المقارنة، دار الجيل بيروت.

Abstract:

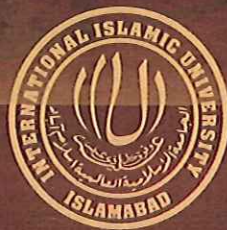
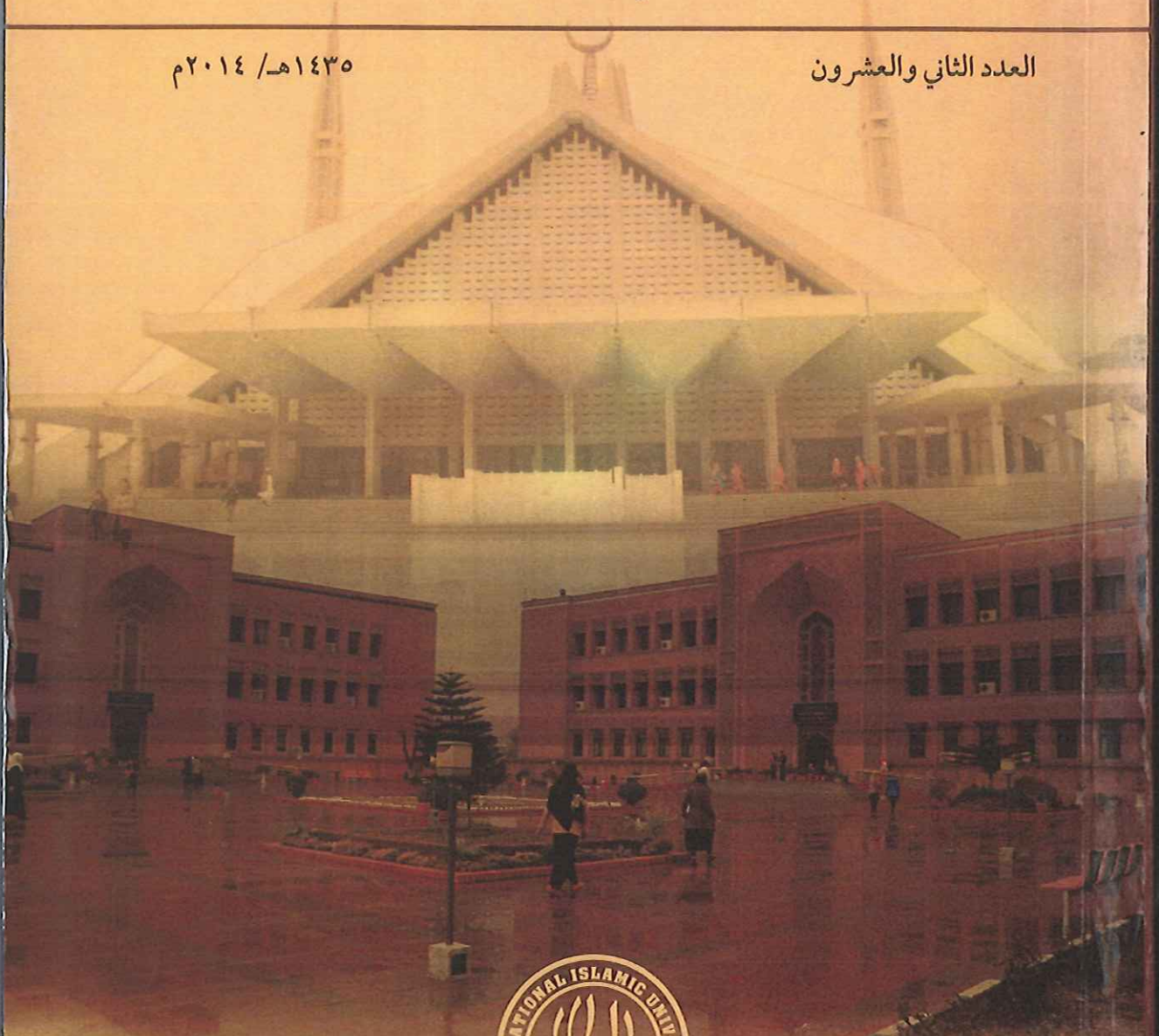
This study examines the Eulogies of Prophet Muhammad and its influences on the literatures of other nations, as well as how these Eulogies have been affected these other literatures; by exposing its emergence and developmental stages throughout the Islamic eras, beginning from the time the Prophet was commissioned until the Fatimid state. It also highlights major factors of influence over these eulogies socially, politically and intellectually. It uses the inductive approach to trace its historical development; and analytical method to decipher its texts and allegories. The significance of this study lies in understanding the influence Islamic literature as represented in the Prophetic Eulogies, has had in giving new ideas and colors to other nations' literatures, and to identify areas where other literatures have had influence on it.

حولية

الجامعة الإسلامية العالمية

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

العدد الثاني والعشرون



مجلة علمية محكمة

الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان